جـــامعـــة علي لونيسي البليدة2
مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية
مجلة سوسيولوجيا الجريمة
للبحوث والدراسات العلمية في الظواهر الاجرامية
رقم الإيداع القانوني ر د م د: 2716-7976

# النظرية البيئية (الإيكولوجية البشرية) في تفسير الانحراف والجريمة

## عرض تحليلي نقدي

# The Ecological (Human Ecology) Theory in Explaining Deviance and Crime: A Critical Analysis

**الأستاذ الدكتور جمال معتوق ، جامعة علي لونيسي البليدة02**

matouk59@yahoo.fr

**ملخص** : نهدف من خلال هذه المساهمة العلمية إلى تقديم عرض تحليلي للنظرية البيئية في تفسير الانحراف و الجريمة ، من خلال عرض للسياق الفكري والاجتماعي للنظرية ، وأهم المبادئ الاساسية وكذا الدراسات المنجزة في مجال الانحراف و الجريمة و إرجاعها إلى العوامل البيئية و الجغرافية ، ثم نختم في الاخير بعرض أهم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية , و هذا بغية تبيان الإضافة التي قدمتها هذه النظرية الى حقل السوسولوجيا بصفة عامة و ميدان الانحراف و الجريمة بصفة خاصة و مدى الإرهاصات التي تركتها لدى المنشغلين في هذا المجال اذ تعد نظرية البيئية من النظريات الاكثر انتشارا بحكم تبنيها من كثير من المختصين في ميدان علم الاجتماع الجريمة و الانحراف و اتخاذها سبيلا لتفسير الكثير من الظواهر الإجرامية و إرجاعها الى عوامل بيئية مكانية مرتبطة بالافراد .

الكلمات المفتاحية: **النظرية البيئية، الانحراف، الجريمة.**

## Abstract:

The aim of this scientific contribution is to provide an in-depth analysis of the ecological theory in explaining deviance and crime. This will be achieved through an examination of the theoretical and social context of the theory, a presentation of its core principles, and an overview of studies conducted in the field of deviance and crime, linking them to environmental and geographical factors. In conclusion, the most significant criticisms directed toward the theory will be presented, in order to highlight its impact on the field of sociology in general and criminology in particular. The ecological theory is among the most widely adopted theories, as it has been embraced by many experts in the field of criminal sociology who have employed it to interpret numerous criminal phenomena and associate them with localized environmental factors tied to individuals.

**Keywords:** Ecological theory, Deviance, Crime.

**مقدمة**

لقد شكلت النظرية الإيكولوجية (البيئية) إحدى أهم المحاولات العملية في تفسير السلوكيات المنحرفة والاجرامية في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن العشرين.

كما ارتبط اسم هذه النظرية بمدرسة شيكاغو "l'école de Chicago" وذلك لما لهذه المدرسة من وزن في الساحة العلمية والإقدام على الدراسات الأمبريقية بكل أنواعها في أمريكا وذلك من خلال اتخاذها لمدينة شيكاغو مخبرا حيا لنشاطاتها حول العديد من القضايا والمشكلات التي كانت تعيشها هذه المدينة والناجمة عن التغير الاجتماعي السريع والعنيف في آن واحد. بالإضافة إلى إفرازات كل من الهجرة الوافدة على مدينة شيكاغو والتصنيع.

كما شهدت هذه المدينة ولادة أول قسم لعلم الاجتماع وهذا ما زاد في الاهتمام في دراسة المشكلات الاجتماعية التي انتشرت بسرعة في هذه المنطقة من امريكا مثل: جنوح الأحداث، الإدمان بأنواعه المختلفة، نمو وانتشار العصابات الاجرامية، السرقة، البغاء، الجريمة، النزوح، الصراعات الاثنية والثقافية بين المهاجرين الوافدين من أوربا ومن أمريكا اللاتينية، وآسيا وحتى إفريقيا.

وفي ظل هذه البيئة الناشطة ظهرت مدرسة تسمى بالمدرسة البيئية أو الإيكولوجية الاجتماعية Ecologie Sociale، والتي حاول أصحابها من أمثال إيزا بارك Ezra Park، أرنست بيرجس E. Burgess وليام إسحاق توماس William Isaac Thomas وغيرهم من الباحثين السوسيولوجيين، فهم هذه المشكلات في إطار مقاربة جديدة، ألا وهي المقاربة البيئية. مبتعدين بذلك عن التفسيرات البيولوجية والنفسية التي كانت سائدة. ومتخذين من المدينة والبيئة الاجتماعية عاملا حاسما في تفسير هذه المشكلات.

وفي هذا الفصل سوف نسلط الضوء على إسهامات هذه النظرية في تفسير السلوك المنحرف والاجرامي مع إظهار مجالات تدخل هذه النظرية وحدودها.

## 1-1مدخل عام:

الكلام عن النظرية البيئية الاجتماعية أو الإيكولوجية يجرنا إلى القيام بحفريات في ثنايا التراث النظري الاجتماعي -الفكر الاجتماعي -وإسهامات الحضارات القديمة في مجال الثنائية البيئة الاجتماعية/ سلوكيات الأفراد وطبائعهم.

تنطلق الكتابات الخاصة بالنظرية البيئية الاجتماعية على أن هذه النظرية حديثة العهد، وأنها لم تعرف من قبل، وأن أول من نادى بها هم أنصار أو مؤسسوا مدرسة شيكاغو الامريكية.

نحن لا ننكر الدور الهام والحاسم لمدرسة شيكاغو في وضع الأسس العلمية والنزعة الموضوعية لهذه النظرية في محاولة منها تفسير المشكلات التي كانت تتخبط فيها أمريكا عامة ومدينة شيكاغو خاصة، إلا أن هذا لا يعني بأن التفسير الإيكولوجي أو البيئي لم يكن معروفامن قبل. بل هناك العديد من الأعمال والمحاولات الجادة التي سعى أصحابها سواء عند الغربيين قديما أو العرب والمسلمينمن خلالها الاعتماد على العامل البيئي في تفسير الظواهر الاجتماعية. حيث نشير إلى أنه مثلا قد وجدنا أن ابن خلدون قد اعتمد على عامل البيئة في تفسير طبائع الأفراد، كما قام بتحليل علاقة الفرد بالبيئة والتأثيرات المتبادلة وتعد رؤيته هذه توفيقية حيث لم ينطلق من التفسير المطلق للعوامل البيئية في التأثير على سلوكيات الأفراد كما وجدناه مثلا عند كل من جماعة اخوان الصفا في كتابهم الرسائل أو عند العالم والقاضي والفقيه صاعد الأندلسي في كتابه "طبقات الأمم" والذي بالغ فيه فيما يخص تأثير العوامل البيئية في مزاج وخصائص الأفراد وحتى في الذكاء وهذا عندما ربط الغباء والجهل بالحرارة، دون ان ننسى العالم والمؤرخ والفقيه تقي الدين المقريزي صاحب كتاب "إغاثة الأمة في كشف الغمة" والمخطوطات المقريزية، حيث أعطى دورا حاسما للبيئة الاجتماعية والطبيعية في صقل سلوكيات الأفراد.

كما نشير أن الاهتمام بالعامل البيئي لم يقتصر فقط على المفكرين والعلماء المسلمين والعرب، بل امتد إلى العديد من الأجناس وخاصة الغربيين، ومنهم نذكر اسهامات العالم مونتيسكيو صاحب كتاب "روح القوانين" L'esprit des Lois وكذلك كتاب "الرسائل الفارسية "Les Lettres persanes" دون أن ننسى كذلك المفكر السياسي الكبير ماكيافيلي صاحب كتاب "الأمير" La prince وغيرهم من المفكرين والعلماء التابعين للتيار التنويري والموسوعي.

لقد ساهم هؤلاء في فهم دور البيئة في انتشار العمران والنظم الاجتماعية والسياسة المختلفة، وكيف تساهم هذه الأخيرة في النهوض الاجتماعي والثقافي، وتكون عاملا مساهما في انتشار الأمراض الاجتماعية على حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي اميلدوركايمDurkheim

## 2-فحوى النظرية البيئية (الإيكولوجية):

هناك رأي يعزو الاجرام إلى النمو العمراني الحضري، الذي يمتاز بالتعبير الثقافي السريع، وازدياد نسبة المهاجرين من القرى إلى المدن زيادة هائلة، كما هو ملموس منذ سنوات طويلة في القاهرة والاسكندرية وبغداد والرياض ودمشق وتونس والجزائر والدار البيضاء، واختلاف الثقافات الفرعية، وكثافة القرى والبوادي، بل تناقضها مع ثقافة المجتمع ككل من وجوه كثيرة، وانتشار العلاقات العابرة غير المتينة التي لا تشعر الأفراد بالطمأنينة و راحة البال من جهة، ولا تجعلهم يحتمون بسيادة معايير خلقية مستقرة واحدة، فالمعايير السائدة، تصبح مضطربة ومتضاربة، فيؤدي هذا الاهتزاز المجتمعي والبلبلة الفكرية واختلاط الحابل بالنابل إلى حالة من الفوضى التي أطلق عليها اصطلاح اللامعيارية. (حسين الساعاتي، 1987، ص. ص. 105، 106)

يعد مفهوم البيئة او الحيز العمراني (الايكولوجي) من المفاهيم الرئيسية بالنسبة لهذه النظرية، حيث تنطلق في تفسير ظاهرة الانحراف والجريمة التي تهمنا هنا في هذه الدراسة، انطلاقا من تأثيرات هذه البيئة على الفرد وكيف تنعكس هذه التأثيرات على سلوكياته.

حول الدراسات التي كانت بمثابة نقطة تأسيس لهذه النظرية، نجد الدكتور احمد مصطفى وآخرون يقولون: "ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا الشأن تلك التي قام بها "كليفوردشو"منذ عام 1930 والتي أثبت خلالها أن معدل الاجرام يرتفع في وسط مدينة شيكاغو، ويهبط تدريجيا كلما بعدت المسافة عن ذلك الوسط، أي في ضواحي المدينة والمناطق الصناعية بها. ولاحظ أيضا أن أعلى معدلات الجريمة ومناطق تمركز العصابات الاجرامية توجد في الأماكن المكتظة بالسكان والمفككة اجتماعيا والواقعة بالقرب من مراكز الأعمال". ( أحمد مصطفى عبد الله أبو عبيلة وآخرون، ، 2015، ص. 138.)

هذه الدراسة التي قام بها "كليفورد شو" رفقة زملائه فريديرك زربوخ Frederic Zorbaugh وليونار كوترال Leonard Cottrell وهنري ماك كي Henry MC Kay والتي أجريت سنة 1929 تحت عنوان Delinquency Areas، والتي أحصوا فيها 60000 إقامة لمجرمين ومنحرفين. قد توصلوا أن معدل الجريمة والانحراف يختلف من حي لآخر في المدينة. الأحياء الفقيرة الموجودة أمام المركز التجاري والخدماتي هي التي توجد فيها أعلى نسبة من المجرمين. بعده نجد كل من كليفورد شو وماك كي يطوران سنة 1942 ما سمي **بالإيكولوجيا**

**الانحرافية** ويربطان نمو الانحراف والفوضى بمفهوم **اختلال النظام الاجتماعي**، أو ما يمكن ترجمته **بفساد النظام الاجتماعي**Desorganisation Sociale.

( Sophie Body – Grendrot , 2002, http//journals. Openedition. org/remi/2647.)

لقد استطاع كل من كليفورد وزميله ماك كي تحديد العلاقة الوطيدة بين كل من الانحراف والجريمة والمدينة من حيث بنيتها الفيزيقية والمتمثلة في الوضع المتدهور من حيث نوعية السكان، الخدمات وانعدام المرافق الضرورية للحياة، بالإضافة إلى الهجرة وما ينتج عنها من صراع ثقافي وعرقي والتفكك بكل أنواعه سواء على مستوى الأسرة أو باقي المؤسسات الأخرى. وعليه أصبحت المدينة تفرخ الانحراف والجريمة، ويشير "شو" إلى أن معدل الجريمة يرتفع في المناطق التي هجرها سكانها الأصليون تدريجيا وحل محلهم فيها أناس هامشيون يكادون يعيشون على الحد الكفاف كالسود والمهاجرين. " (أحمد مصطفى عبد الله أبو عبيلة وآخرون،1965، ص. 148)

وبالتالي فإن الظروف الاجتماعية غير المواتية –في منطق النظرية الإيكولوجية أو البيئية –من انخفاض مستوى المعيشة والجهل والازدحام والسكن غير الصالح لا تفسر بذاتها الظاهرة الاجرامية، وإنما تبدو كإفراز أو أعراض لنظام اجتماعي متفسخ تغيب عنه مقومات وخصائص التنظيم الاجتماعي السليم. ". (أحمد مصطفى عبد الله أبو عبيلة وآخرون،1965، ص. 148)

ترتكز نظرية الإيكولوجيا الاجتماعية –البشرية–على فكرة أساسية وهي أن هناك ارتباط وثيق وعضوي بين كل من الأفراد والبيئة التي يعيشون في كنفها، وعليه يوجد تأثير واضح وقوي على الأفراد وحياتهم الاجتماعية. وهذا ما أشرنا إليه وقلنا بأن الثنائية البيئة والبشر يعدان من المواضيع القديمة والتي انشغل بها الباحثون وعلماء الاجتماع بالخصوص. وقد يكون تأثير البيئة على الأفراد أكثر عمق وقوة في المجتمعات البسيطة مقارنة بالمجتمعات المتطورة والمعقدة من حيث التقدم التكنولوجي والحضاري، إلا أن البيئة الاجتماعية هي المهيمنة من حيث الفعالية والحضور في حياة الأفراد بداخل المجتمعات المتطورة. وعليه نقول بأن التأثير للبيئة الطبيعية أقوى في المجتمعات البسيطة وأقل في المجتمعات المتطورة والنامية، بينما البيئة الاجتماعية يكون تأثيرها على الحياة الاجتماعية للأفراد أقوى في المجتمعات المتطورة والمعقدة مقارنة بالمجتمعات البسيطة.

كما تزداد الجرائم ومظاهر الانحراف في المجتمعات المتطورة والمعقدة أين يكون تأثير البيئة الاجتماعية أقوى.

إذ تعتبر **نظرية نموذج النطاق الدائري لبرجس** Burgess من النظريات الرائدة التي انبثقت عن هذا الاتجاه في تفسير السلوك الاجرامي والمنحرف وذلك من خلال تطبيقها على مدينة شيكاغو، فلقد وجد "برجس" ان المناطق المتاخمةلمركز المدينة التجاري يرتفع فيها معدلات الجريمة والانحراف، بينما تنخفض تلك المعدلات في المناطق البعيدة عن المركز، وقد علل "برجس" ذلك بسوء الظروف السكنية والفقر وكثرة الأجانب وعوامل التغير السكاني تتميز بها الأحياء المتاخمة لمركز المدينة والتي أطلق عليها "برجس" اسم**الأحياء الانتقالية**. (ناجي محمد هلال،، 2002، ص. 266 -267)

تعد نظرية نموذج النطاق الدائري لبرجس من النظريات الأساسية للنظرية الإيكولوجية، كما أن العالم أرنيست برجس رائد المدرسة البيئية وأحد مؤسسي مدرسة شيكاغو قد حاول من خلال دراسته عن المدينة فهم كيف هذه البيئة بمقدورها أن تؤثر في سلوكيات وتصرفات الأفراد، وقد توصل إلى أن الانحراف والجريمة هما نتاج للعديد من المشكلات أو الأسباب منها خاصة: ظروف السكن وطبيعته، حيث وجد أن المنحرفين والمجرمين يقيمون في سكنات هشة ومتدهورة ولا تليق للإقامة وذلك لانعدامها على أدنى شروط السكن، بالإضافة إلى هذا طبيعة المجتمع والذي يتميز بالحركية واللااستقرار من حيث التنقل الدائم للسكان وكذلك تنوع الأجناس والعرقية مما ينتج عنه الصراعات الثقافية والتكتلات على شكل جيتوهات (Ghetto)، بالإضافة إلى الفقر المدقع والحرمان بكل أنواعه، هذه العوامل تكون مساعدة على انتشار الجريمة بكل أنواعها.

إلا ان هذه النظرية –نظرية البيئة –تبلورت بشكل أدق وأكثر نضجا على يد "شو" و "مكاي" حتى أن اسم هذه النظرية قد ارتبط باسمهما مؤخرا ولقد انتهيا من دراستهم الايكولوجية المتعددة عن الانحراف إلى صياغة نظرية عرفت باسم **مناطق الجناح**. (ناجي محمد هلال،، 2002، ص. 266 -267)

وفيما يخص مضمون النظرية المسماة بنظرية "مناطق الجناح" هو: "نسبة الجنوح تتفاوت باختلاف بعد المنطقة أو قربها عن قلب المدينة وعن المركز الصناعي للمدينة، وقد وجد شو أن نسبة الجنوح تقل تدريجيا كلما ابتعدنا عن قلب المدينة متجهين نحو ضواحيها، ولعلى نسبة الجناح هي تلك المناطق التي تحيط بالمراكز الصناعية كمنطقة المعامل والمراكز التجارية ومستودع البضائع وهو يرى أن هذه المنطقة بتركيبها المادي والثقافي الخاص تظهر لنا أعلى نسبة لجنوح الأحداث من جهة، وأعلى نسبة للعود إلى الجريمة من جهة أخرى. ويعلل "شو" هذه الظاهرة بما يدعوه بظاهرة **الجنوح الجماعية** وهي ظاهرة اجتماعية تصاحب التغيرات البنائية التي تشهدها وتتميز بها المدن

الكبيرة كالتحضر والتصنيع والتعقد الاجتماعي وطبيعة العلاقات الاجتماعية وحجم السكان وكثافتهم وخصائصهم العرقية، حيث أن سرعة التحضر وتعقد العلاقات الاجتماعية والحراك الاجتماعي والتباين العرقي للسكان له أهمية بالغة في إفراز التفكك الاجتماعي الذي بدوره يحدث ارتفاع في معدلات الانحراف والجناح (عدنان الدوري، 1984، ص. 96 -98).

كما ان الأنشطة الروتينية أبعدت الكثير من أفراد المجتمع عن منازلهم وأسرهم وممتلكاتهم، مما أدى إلى غياب الحماية اللازمة عنها، وهو ما ينطبق على الموظف الذي يتطلب عمله الذهاب بعيدا عن منزله وفي ساعات متأخرة من الليل بمنطقة غير آمنة، فهذا النشاط الروتيني يعرض صاحبه للاعتداء أكثر من الموظف الذي يبدأ عمله في الساعة السابعة والنصف صباحا وينتهي في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. (حميد بن ناصر الحجري نقل عن الموقع: https: //www. rop. gov. com تاريخ تصفح المقال : 2019/08/12.)

نشير هنا أن النشاطات الروتينية التي يمارسها الفرد في حياته اليومية يمكن أن تساهم في أن يكون ضحية كما رأينا مع د. حميد بن ناصر الحجري، حيث الانتقال للعمل مثلا بعيدا وفي أوقات مظلمة والعودة في أوقات متأخرة للبيت قد تساهم في تعرض ممتلكات هذا الفرد إلى السرقة والاعتداء، وحتى هو قد يتعرض للاعتداءات نظرا لكونه يغادر البيت في أوقات جد مبكرة للالتحاق بالعمل أو العودة في الليل بعد الانتهاء من العمل. ومن جهة أخرى يمكن أن تساهم هذه النشاطات الروتينية في إقبال أصحابها على الممارسات الاجرامية كونهم مجرد أجانب في بيئات جديدة لا يعرفهم الناس فيها وبالتالي هذا يسهل عليهم الانتقال إلى الأفعال الإجرامية.

نقول بأن هذه النظرية الفرعية التي نادى بها العديد من علماء مدرسة شيكاغو ومن أنصار التفسير الإيكولوجي البشري، تعد من النظريات **الصغرى(Micro)** يمكن اعتمدها في تفسير الجرائم النفعية وبالخصوص والتي تنتشر بقوة في الأحياء السكنية، خاصة في أوقات معينة من النهار وفصل الصيف (العطل) أين يترك الكثير من السكان مساكنهم لقضاء عطلهم بعيدا عن البيت، أضف إلى ذلك انعدام الرقابة وعدم تدخل الجيران أمام الأفعال الإجرامية والاعتدائية.

ومن بين الصياغات أيضا المرتبطة بنظرية الأنشطة الروتينية ما قدمه "كوهين" و "ماركوس فيلسون"، فالجريمة في رأيهما تظهر حيث تتطابق عناصر ثلاثة في الزمان والمكان وهي:

1-وجود المجرم المتحفز أو المدفوع لارتكاب الجريمة.

2-الأهداف المقصودة من وراء الجريمة.

3-غياب من لديه القدرة على صد أو الحد من وقوع الجريمة.

وباختبار هذا المدخل، قد وجدوا أن زيادة معدلات الجريمة والانحراف في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ممكنة الفهم في ضوء ما طرأ على المجتمع الأمريكي من تغير، خاصة ما يتعلق في مزاولة الأنشطة الحياتية بعيدا عن المنزل ومشاركة المرأة في العمل. " (عبد الله حسين خليفة، ، 1994، ص. ص. 72، 73.)

وهذا ينطبق كذلك على الجزائر خاصة بعد خروجها من الاستعمار الفرنسي والوضعية المنهارة التي ترك المستعمر البلاد فيها من فقر ودمار، كما أن الكثير قد استولوا مثلا على المساكن والأراضي التي كان يستغلها المعمرون (colons)، وغيرها من السلوكيات الأخرى.

**3-نماذج من الدراسات البيئية والجريمة والانحراف:**

3-1 نموذج "كليفورد شو":في سنة 1921 قام "كليفوردشو" بتحديد المناطق السكنية لمائة ألف من تلاميذ المدارس المنحرفين ومن المجرمين الكبار في مدينة شيكاغو، وأخرج في سنة 1929 نتيجة دراسته، ويعتبر كتابه كلاسيكيا في الميدان، لقد وجد "شو" أن معظم أفراد العينة يتركزون في مناطق معينة ملاصقة للأحياء التجارية والأحياء الصناعية، وانتهى إلى أنه ما دام المنحرفون من أفراد العينة يتركزون في هذه المناطق فمن الممكن التسليم بأن السلوك المنحرف يرتبط بمواطن اجتماعية معينة ترتبط بدورها بالنمو الطبيعي للمدينة.

فالمناطق التي تكون في عملية تحول من مناطق سكنية إلى مناطق تجارية تخلق أنماط إجرامية تشكل اتجاهات وسلوك الأفراد الذين يعيشون في المنطقة وتتحول المنطقة إلى منطقة الانحراف". (سعد جلال، دون سنة، ص. 226) .

أما كيف يتم تعلم السلوك المنحرف، فقد أوضحه "شو" بدراسة خمسة أخوة كانوا يعيشون على ضفاف نهر شيكاغو، بدأ الانحراف معهم كلعبة يلعبونها مع غيرهم من الأطفال ممن لهم نفس الظروف، فبدلا من الذهاب إلى المدرسة، يتسكع الإخوة وأصدقاؤهم لسرقة أشياء تافهة من الحوانيت، ودعم هذا السلوك المبكر الأنماط الخلقية السائدة بين المحطين بهم من الكبار، وعدم وجود الوقت الكافي لدى الآباء للسيطرة على الأبناء، وهكذا أخذ الأولاد بالتدرج ينحدرون إلى الجريمة. (سعد جلال، دون سنة، ص. 226) .

3-2 دراسة "برجس":من الدراسات التي تتقصى أسباب الجريمة من خلال دراسة البيئة (أو إيكولوجية الجريمة)، الدراسة التي أجراها برجس على مدينة شيكاغو مشيرا بأنه يمكن تطبيق نتائجها، ليس على مدينة شيكاغو فحسب، بل على أية مدينة أخرى تشابهها في المعطيات الطبيعية.

وقد أطلق برجس على نظريته هذه اسم"**نظرية المجتمع في منطقة المركز**" ووجد من خلالها أن المنطقة الدائرية الملتصقة بمنطقة المركز مباشرة، إنما هي منطقة تحول (انتقالية) بالمدينة، حيث تزحف نحوها مراكز التجارة والاقتصاد، ويكون من نتائج ذلك أن تصبح مناطق المركز بالمدينة، حيث تتواجد أقدم وأهم الاحياء السكنية، تتميز باحتوائها على أقدم المباني السكنية وأقلها تناسبا ومتطلبات السكن الحديث، مما يؤدي إلى هجرها من قبل سكانها الأصليين الذين يمكنهم توفير مساكن لائقة لأنفسهم تتوفر فيها متطلبات الحياة العصرية، وبإخلاء هذه المناطق من قبل الفئات السكنية ذات المدخول المتوسط فما فوق، تصبح جاهزة لاستقبال الفئات الأقل منها دخلا، وهي الفئات المتنقلة وعبر القارة، علاوة على ذلك فإن هذه الفئات ترحل وتنتقل حيث تتواجد فرص جديدة للعمل وكسب الرزق، وحيث أصبحت هذه المناطق تشكل عصب التجارة والاقتصاد في المدينة، وكنتيجة لقدمها، فإن مخططاتها تصبح غير مناسبة لما تتطلب من طرق ونظام مواصلات وخدمات، وبذلك تصاب المنطقة بتغيرات شاملة في طرقها ومبانيها، مع ما يتطلب ذلك من هدم وإخلاء تصب المنطقة من جرائه الفوضى وعدم الاستقرار بسبب نزوح بعض السكان وقدوم غيرهم، وبالتالي انقطاع العلاقات والصلات التي كانت تربط الفرد بالفرد الآخر، مما يؤدي إلى وهن جهاز الضبط الاجتماعي التقليدي. (مصطفى عبد المجيد كارده، ، 1985، ص. ص. 284، 285)

فعلا لقد رأينا مثلا أنه في مدينة البليدة ومع التوسع العمراني، وانتشار التجارة البازارية –المحلات الكبرى– واضطرار السكان الأصليين مغادرة وسط المدينة وشراء الأراضي خارجي المدينة في مناطق كبوعرفة وقرواو، وغيرها من المناطق الأخرى، وبيع أوكراء مساكنهم في وسط المدينة، ولأفراد جاءوا من خارج المدينة بحثا عن العمل وضمان لقمة العيش، مع الإقامة في مساكن السكان الأصليين في الاحياء العريقة والقديمة للمدينة، خاصة في أحياء مثل "زنقة ستة" وهو حي قديم وحي "شارع الجزائر"

الذي يطلق عليه "رودالجي" Rue d'Alger وغيرها من الأحياء الأخرى، نلاحظ أن معدلات الجريمة قفزت في هذه المناطق القديمة، القاطنة من طرف سكان وافدين على المنطقة من أجل العمل، وتعد بالنسبة للكثير من السكان الجدد هذه المناطق بمثابة مناطق عبور.

### 3- 3الحي وصناعة المنحرف حسب العالم "شو" Shaw:

يتأثر المسكن والحي الذي يقيم فيه الحدث بالظروف الاقتصادية للأسرة، فمع انخفاض دخل الأسرة قد تضطر للسكن في حي متواضع، ومسكن يتناسب مع هذا الدخل المنخفض، وغالبا ما يكون هذا المسكن ضيق المساحة، رديء الإضاءة والتهوية، ويتكدس فيه كل أفراد الأسرة وهذا له أكبر أثر في استقرار الصغير داخل المنزل أو الثورة عليه والهروب عنه إلى الطريق، لسيما في أوقات الفراغ حيث يكثر في الطريق بؤر الاجرام. وفيما يتعلق بالحي فقد عالج كثير من العلماء موضوع الحي وأبرزوا علاقته بالانحراف والجريمة. فقد أظهر "كليفورد شو" في إحدى دراساته التي تناولت خمسة إخوة أشقاء، عرفوا بتاريخهم الإجرامي الطويل بحيث يلعب الحي دورا كبيرا في الجنوح أو الجريمة، لقد وصف "شو" هذا الحي بأنه كان منطقة جناح، تميز بكل أسباب عدم التنظيم الاجتماعي، وأنه كان بيئة فاسدة، شجعت هؤلاء الإخوة على ارتكاب الجريمة. ( جلال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، 2001، ص. 76)

إن قضية علاقة الحي الذي يقوم فيه الأفراد ونوعيته، ومدى تأثيره في سلوكياتهم في المستقبل، تعد من المسائل الهامة والمؤكدة، كما أن النتائج التي توصل إليها العالم "كليفورد شو" حول نوعية الحي والانحراف والجريمة، لا تخص فقط المجتمع الأمريكي أو الغربي كما يعتقد البعض، بل إنها عالمية.

فمثلا عندنا في الجزائر بينت العديد من الدراسات التي أشرفنا عليها والمنجزة من طرف طلبة الماجستير والدكتوراه، أن هناك علاقة قوية بين نوعية الحي الذي يقطن فيه الأفراد وإقبالهم على السلوك المنحرف، فمثلا وجدنا أن السلوك المنحرف يزداد عند الأطفال الذين يقطنون في الأحياء الشعبية والتي تحتوي على بنايات من "عمارات" والخاصة بالمواطنين البسطاء وأغلبيتهم من الطبقة الدنيا والوسطى، حيث هذه السكنات قد سميت ب اقفاص للأسود"(Cages à lions)، فهي مجرد جدران مجتمعة، تفتقر لأدنى شروط الحياة الكريمة، وهي الوسيلة رقم واحد التي لجأت اليها الجهات المسؤولة لحل أزمة السكن الكبيرة التي يعاني منها البلد. ففي هذه السكنات المتميزة بالضيق والمساحة المحدودة، تضطر الأسر بدفع أطفالها إلى الشارع، حيث يتحول هذا الأخير إلى متنفس ومجال بديل عن المنزل. وإذا قمنا بعملية حسابية نجد ان معظم الوقت يقضيه الأطفال في الشارع وهذا بإيعاز ودفع من طرف الأمهات، اللواتي يدفعنا بأبنائهن إلى الشارع كون المنزل لا يستوعبهم، وهذا حتى تتفرغ الأم لواجباتها المنزلية.

ففي الشارع يتعلم الأطفال أبجديات الانحراف والجريمة، كما لاحظنا كذلك في ساحات هذه الأحياء – أي الخاصة بالعمارات – تكثر الفوضى والاعتداءات وخاصة سرقة بعض لوازم السيارات وغيرها من مظاهر العنف والانحراف.

وفي هذا السياق نجد الدكتور جلال ثروت يقول: "والمعروف أن شخصية الفرد تتكون من دورين هامين: الأول: هو دور الفرد في الحي الذي يعيش فيه، والثاني: هو مكانة الحي بين الأحياء الأخرى، والدور الذي يلعبه الحي في المجتمع الكبير الذي يحتويه، فالحي الذي تتوافق قيمه مع قيم المجتمع الكبير يكون حيا سويا، يهيئ للطفل جوا يكسبه الشعور باحترام النظافة والقانون.

وحين يخرج الحي في قيمه الاجتماعية على ما هو متعارف عليه في المجتمع الكبير فإن هذا الحي يصبح مصدرا لتكوين بعض الاتجاهات الخاطئة، ويفشل عندئذ في توجيه قيم أفراده، وضبط سلوكهم، وبذلك قد يضع الطفل في بعض مواقف وظروف تقوده إلى الانحراف والجريمة. (جلال ثروت، ، 1983، ص. 135)

**4-المنهجية المعتمدة من طرف رواد هذه النظرية (الإيكولوجيا):**

اعتمد علماء الاجتماع التابعين لمدرسة شيكاغو على مناهج وتقنيات سمحت لهم بجمع العديد من البيانات والمعلومات الخاصة بمواضيع متنوعة تدور في فلك الانحراف والجريمة، فقد استطاعوا أن يوفقوا بين كل من المنهج الكيفي والمنهج الكمي.

نجد أن هناك تطبيق مكثف عند الرواد الأوائل (الجيل الأول) والمتكون من "ألبيون سمول" Albion Small، و"وليام إسحاق توماس" W. I. Thomas، والبولوني " فلوريان تزانيسكي" و "إزرا بارك" Ezra Park، و"أرنست برجس" E. Burgess للمنهج الكيفي، حيث نجدهم قد اعتمدوا علىدراسات الحالة وعلى الملاحظة بالمشاركة، وتقنية قصة الحياة والسير الذاتية والمقابلات، بالإضافة إلى الاعتماد المكثف على الملاحظة البسيطة وذلك لتسجيل المعطيات.

إلا أن هذا لم يمنعهم من الاعتماد على الاحصائيات الرسمية، خاصة تلك المتوفرة لدى أقسام الشرطة.

نجد مثلا في الدراسة الرائدة "الفلاح البولوني، قصة رحلة مهاجر" التي أنجزها "وليام إسحاق توماس" والبولوني "فلوريان تزانيسكي" الاعتماد على الرسائل التي كان يبعث بها والتي يتلقاها المهاجرين البولونيين من ذويهم.

حيث جاء في مقدمة هذه الدراسة على لسان "توماس": "تعود بداية اهتمامي بالوثائق الشخصية إلى رسالة طويلة التقطتها في يوم ماطر، في ممر خلف منزلنا: هي رسالة كتبتها شابة كانت تتابع دراستها في المشفى، موجهة إلى ولدها. يخص محتواها العلاقات والمناقشات ضمن العائلة. "

ها نحن في بداية العقد الثاني من القرن العشرين في شيكاغو، والرجل الذي اكتشف هذه الرسالة ضمن كيس مرمي من نافذة أحد المنازل هو وليام توماس (1863 – 1947)، مدرس السوسيولوجيا في جامعة شيكاغو. كان توماس يهتم في تلك الفترة تحديدا بنمط حياة الجاليات المهاجرة في شيكاغو. وقد حصل على اعتمادات من مؤسسة خاصة للشروع ببحثه حول مصير المهاجرين البولونيين. ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص. 93)

للإشارة هنا إلى أنه لا يمكن لأي أحد من علماء الاجتماع أن يهتم ويتفطن للقيمة التي تحملها هذه الرسالة وغيرها من الرسائل الأخرى التي سوف يشتريها من أصحابها بهدف دراسة وضعية المهاجرين البولونيين ومدى اندماجهم في المجتمع الأمريكي.

كانت شيكاغو آنذاك نموذجا أوليا Prototype للحواضر الأمريكية الناشئة. فقد نمت كالفطور على مدى نصف قرن، وزاد. سكانها من 300 ألف عام 1870 إلى ما يزيد عن مليون عام 1890، ثم إلى 2 مليون عام 1910، كي يصل إلى تعدادها إلى 3,4 مليون عام 1930! المدينة تتألق بنزعتها الحداثية: ناطحات سحاب، صناعات، . مخازن كبيرة، مناطق تجارية، متاحف، مشافي، جامعة.... ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص. 93)

لكن المدينة كانت تجذب أيضا موجات من المهاجرين الباحثين عن العمل، فهي مكان تتركز فيها جيوب الفقر، حيث تخيم الجريمة والتسول والكحول والبغاء. وكبقية المدن الأمريكية الكبرى، تعتبر شيكاغو مدينة عديدة الإثنيات، وبنيت من خلال أحياء لهذه الإثنيات. في البداية وصل الإيرلنديون والألمان والاسكندينافيون، وبعدها وصل الإيطاليون واليونان ويهود أوروبا وسود الجنوب. أما البولونيون فيشكلون إحدى الجاليات الأحدث وصولات والأكثر أهمية. ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص ،ص. ،93، 94)

سوف نرى كيف استطاع مجموعة من علماء الاجتماع أن يحولوا مدينة كاملة بحجم شيكاغو إلى مخبر للدراسات التطبيقية، كما جعلوا من علم الاجتماع أداة للتغير وتقديم الخدمة السوسيولوجية للمسؤولين حتى يتسنى

لهم التدخل من أجل إصلاح الأوضاع المعيشية للسكان والعمل على التصدي للتفكك الاجتماعي الذي أصاب المجتمع بسبب التغير الاجتماعي والثقافي السريع وما أفرزه من مشكلات اجتماعية كالانحراف والجريمة.

إن مصادفة اكتشاف باقة الرسائل هي نعمة بالنسبة لتوماس، فهذه الرسائل التي كتبتها فتاة شابة ومهاجرة إلى أهلها، تحكي عن ظروف حياتها وعملها والحوادث اليومية ومشاكلها وآمالها...إنها في نظر عالم الاجتماع مادة لا يغني عنها شيء ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص ، 94)

ولكي يقود بحثه بنجاح، طلب توماس مساعدة شخص بولوني، هو فلوريان تزانييكي (1881 – 1959)، وهو فيلسوف تحول إلى السوسيولوجيا. وكان يدير جمعية من أجل المهاجرين القادمين من فرصوفيا. قرر الاثنان نشر إعلان في جريدة بولونية هيDziennikChicagostiبغيةجمع رسائل المهاجرين، وسرعان ما جمعا كمية هامة من الرسائل والوثائق، ستشكل مادة كتاب ضخم من 5 مجلدات، هو: الفلاح البولوني في أوربا وأمريكا، الذي ظهر مجلده الأول عام 1918م. ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص 94)

مخطط مجمل الكتاب واضح، وهو وصف مسار زمرة اجتماعية. خصصت المجلدات الاولى للحالة البدائية: العائلة الفلاحية، النظام الاجتماعي، الحياة الاقتصادية في بولونيا. والثاني يصف "خلل التنظيم عند الجماعات الأولية" (العائلة، جاليات العمل) الذي قاد البعض إلى ترك بلدهم (الجزء الرابع). وأخيرا يأتي دور الاستقرار في أمريكا، الذي يتصف بإعادة تشكيل الجالية وباضطراب تنظيمها: فساد الأخلاق واضطراب الاستقرار العائلي، ثم الجنوح بخصوص بعضها. وهذا هو موضوع المجلد الأخير الذي ظهر عام 1920م ( فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، ، ترجمة إياس حسن، ، دمشق، سوريا، 2010، ص ،ص. ،94، 95)

لقد استطاع "توماس" بفضل مساعدة "فلوريان تزانييكي" الحصول على العديد من الرسائل وذلك كما أشرنا عن طريق شرائها من عند بعض المهاجرين البولونيين ثم القيام بتحليل محتواها وفقا للمنهجية والأهداف المسطرة.حيث كانت دراسة وصفية تحليلية، سمحت بمعرفة من هو المهاجر البولوني، ما هي قصة حياته،مساره المهني في بولونيا، ظروفهالمعيشية في البلد الام، وصوله إلى أمريكا، مسألة الاندماج في المجتمع الجديد، الاغتراب من جديد والتفكك الذي أصابه وكيف تحول البعض إلى منحرفين ومجرمين، إنها فعلا دراسة مؤسسة للدراسات السوسيولجية الكيفية.

للإشارة فقد اعتمدت الدراسات الإيكولوجية على العديد من المناهج والتقنيات، منها الكمية والأخرى كيفية وفي بعض الحالات المزج بين الاثنين. كما لا ننسى استخدامات المنهج الأنثروبولوجي من طرف الرواد الأوائل وعلى رأسهم إزرا بارك، والذي يعد الأول من لجأ إلى توظيف الملاحظةبالمشاركة في الدراسات الجنائية والحضرية.

**5-أهم الأفكار التي نادت بها هذه النظرية:**

ظهر لأول مرة مصطلح الإيكولوجيا Ecologie في 1869، وهذا من خلال استخدامه من طرف عالم الأحياء الألماني "أرنست هيكل"(Ernest Haeckel) المولد سنة 1834 والمتوفي في 1919، والذي كان له الفصل في التعريف بنظرية التطور لشارل داروين (Darwin) في ألمانيا. نشير كذلك أنه بالإضافة إلى تخصصه في البيولوجيا كان فيلسوفا ومفكرا حرا.

لقد ساهم في إدخال بعض المصطلحات البيولوجيا الحديثة**كالشعبة** و**علم البيئة** وقد وصف السياسة بالبيولوجيا التطبيقية، كما عرف "هيكل" الإيكولوجيا البيولوجية بالعلم الذي يدرس التشابه المتبادل بين كل من النباتات والحيوانات التي تعيش معا في مناطق طبيعية، مطبقا بذلك النظرية التطورية الداروينية.

في عام 1915 نشر عالم الاجتماع الأمريكي روبرت برك R. Park وهو من العلماء المؤسسين لمدرسة شيكاغو بأمريكا، مقالا تحت عنوان "المدينة". وبعد انضمامه إلى مدرسة شيكاغو بفضل الأستاذ الكبير "توماس" Thomas، أصبحت أعماله من أهم الأعمال حول الإيكولوجيا والجريمة رفقة كل من "برجس" و"شو" و"ماكي" وغيرهم من العلماء الآخرين.

كما وظف كل من العالم "إزرا بارك" وزميله "أرنست بريجس" مصطلح "**الإيكولوجيا البشرية**" في كتابهما المسمى "مقدمة في علم الاجتماع".

أما العالم "أرنست Ernest Burgess فنجده في سنة 1923 ينشر مقاله الشهير حول الطرح الإيكولوجي والنمو تحت عنوان "**نمو المدينة**" ويعد هذا العمل من الأعمال المؤسسة للإيكولوجيا الحضرية. يرى برجيس أن المدينة تنمو على شكل **دوائر مركزية** تدور حول **مركز** (قلب) **المدينة** والذي يمثل المنطقة التجارية، وفي الدوائر المحيطة بذلك المركز نجد دوائر أخرى على الجهة المشكلة الحافة الخارجية للمدينة.

وحسب برجيس نجد المناطق التالية:

1-**المنطقة التجارية**: هي بمثابة مركز للنشاطات التجارية، وتتكون من المتاجر والمصانع ويقطنها نسبة قليلة من السكان مقارنة بالمناطق الأخرى.

2-**مناطق التحول**: وتأتي هذه المناطق مباشرة بعد قلب المدينة ويقطنها عدد كبير من العمال (تتشكل من الطبقة العاملة) وتضم البناءات والمساكن القديمة والتي تنعدم فيها شروط الحياة الكريمة، من حيث السكن، صرف المياه...إلخ، إنها مناطق رخيصة يقطنها المهاجرون نظرا لثمن الكراء الرخيص وقربها من المصانع وأماكن العمل، إنها مناطق لا تصلح للسكن، وهي بمثابة مناطق تحول أو عبور يتركها هؤلاء العمال والمهاجرين عند تحسن ظروفهم المادية للتوجه إلى المنطقة الثالثة.

3-**مناطق إقامة الطبقة العاملة**: نجد فيها عمال الصناعة وهم من ذوي الدخل المحدود ويسكن فيها العمال لقربها من أماكن عملهم وكذا التخلص من نفقات (مصاريف) الانتقال والإيجارات المرتفعة. إلا أنها أحسن بكثير مقارنة من مناطق التحول.

4-**مناطق سكنية أفضل** وفيها مساكن فردية أي خاصة بكل أسرة، ونجد فيها كذلك الفيلات (البنايات الفاخرة) والعمارات، ويسكنها أصحاب الدخول المرتفعة.

5-**مناطقهامشية**: تقع هذه المناطق منفصلة على المنطقة المبنية الحضرية الرئيسية للمدينة، معظم سكانها هم من يقومون برحلة يومية من أجل العمل.

وتدعيما لدراسات برجيس، أجريت العديد من الدراسات نذكر:

الدراسة التي قام بها "كليفورد شو" Shawمنذ عام 1930 والتي أثبت من خلالها أن معدل الإجرام يرتفع في وسط مدينة شيكاغو ويهبط تدريجيا كلما بعدت المسافة عن ذلك الوسط، أي في ضواحي المدينة والمناطق الصناعية بها. ولاحظ أيضا أن أعلى معدلات الجريمة ومناطق تمركز العصابات الإجرامية توجد في الأماكن المكتظة بالسكان والمفككة اجتماعيا والواقعة بالقرب من مراكز الأعمال. فقد لاحظ أن تلك المناطق التي أسماها **مناطق الجنوح**Delinquency Area-معاناتها من عدم كفاءة السكن، وعدم وجود أماكن لممارسة الأنشطة الرياضية، وزيادة نسبة تشغيل الأطفال، وكثرة الهروب من المدارس، وعدم تجانس العنصر البشري نتيجة كثرة المهاجرين.

كما بينت العديد من الدراسات السوسيولوجية وخاصة تلك التي قام بها أنصار مدخل "النوافذ المكسرة" أو "التسامح صفر" Tolérance Zéro، وكذلك الدراسات التي اجراها العالم "كليفورد شو"، أن معدلات

الجريمة ترتفع في المناطق التي هجرها سكانها الأصليون تدريجيا، وحل محلهم فيها أناس هامشيون (Marginalisés)، فقراء، منعدمي الدخل، يتشكلون بالخصوص من السود والمهاجرين، بالإضافة إلى كونهم ينتمون إلى ثقافات غير متجانسة، مما يؤدي إلى انتشار الصراعات الثقافية والعرقية فيما بينهم. بالإضافة غلى انتشار صور التفكك الاجتماعي وانعدام التماسك والتلاحم الاجتماعي فيما بينهم. كل هذا يزيد في انتشار صور الانحراف والجريمة فيما بينهم.

– لقد شجعت معادلة الإنسان والبيئة في ظهور الإيكولوجيا البشرية التي تهتم بدراسة العلاقات المكانية والزمنية بين البشر وتأثيرها بما في البيئة من قوى توافقية توزيعية انتقائية، وأن ما يقوم به الكائن البشري من علاقات مكانية هو في الحقيقة نتيجة مباشرة لعمليات التنافس والانتقاء أو الانتخاب، وبما أن العلاقات المكانية في حالة تغير مستمر كلما طرأت عوامل جديدة، فإنها تعمل على تشويش العلاقات الإنسانية مع الطبيعة البشرية في علاقات مكانية معينة بحيث أنه كلما تغيرت تغير، وبالتالي الأساس الفيزيقي الذي تستند عليه العلاقات الاجتماعية الذي يؤدي إلى حدوث المشكلات الاجتماعية والسياسة في المجتمع. ( السيد عبد العاطي، أبو بكر أحمد باقادر، ، 1409ه، ص. 82)

– فظهرت تطبيقات مدرسة شيكاغو لتوضيح هذه العلاقات من خلال النموذج الذي اقترحه بيرجس، والذي وصف آلية التغير في مدينة شيكاغو، والذي تقوم فكرته على تعاقب النطاقات المركزية من قلب المدينة التجاري حتى الأطراف بمسافات فاصلة فالمدينة إذا نمت وتوسعت من حولها تشكلت في سياق هذا النمو المجموعات الاجتماعية وحركة تنقلاتها في كل نطاق، وتعكس الأنشطة فيها محصلة القوى الاقتصادية وسهولة الوصول لمركز أو قلب المدينة التجاري. (فؤاد بن غضبان، 2011، ص. 30)

كما ركز بيرجس على أهمية الانتقال في العلاقات الاجتماعية، غير أن دراسة ورث Wirth سنة 1939 عن الحضرية كأساس للحياة الاجتماعية انتقدت مفاهيم بيرجس معتبرا أنها تقود إلى التفكك الاجتماعي ممثلا في أشكال الجريمة والفساد وانحراف الأحداث وتشرد الأطفال في منطقة الانتقال. (فؤاد بن غضبان، 2011، ص. 30)

وقد شهدت العشرينيات والثلاثينات من القرن العشرين تطورا في الدراسات الإيكولوجية المكانية للجريمة أمريكا من طرف شو Shaw ومكاي Mc kay واللذان طبقا لنموذج بيرجس على دراستهما على جنوح الأحداث في شيكاغو. وقد حددت هذه الدراسة مكان المنحرفين من الأحداث باستخدام خرائط نقطية لإظهار التباين المكاني في تحليلهما لخمس وسبعين (75) مجتمعا محليا، وطباقا استنتاج النموذج المكاني في اتجاه نمطه العام

المنتظم، **فالجريمة تقل كلما اتجهنا من المركز نحو الأطراف**واستندت النتائج على عدد من المتغيرات أهميها: الفقر، وتدني مستوى السكن، . والانتقال، وعدد المواليد بين السكان الغرباء، وبناء عليهما تم تحديد أربع (04) أشكال رئيسية للانحراف هي جنوح الأحداث، جرائم البالغين، العودة في الجريمة، والمجرمون الفارون أو الهاربون من العقاب، ثم تم التثبت فيهما صحة النتائج التي توصلا إليها. (فؤاد بن غضبان، 2011، ص.ص،30 ، 31 )

وفي سنة 1969م أعاد الباحثان دراستهما، وأكدت النتائج استمرارية اتجاه النمط العام للجريمة نحو الأطراف بشكل مواز لحركة الانتقال. (فؤاد بن غضبان، 2011، ص. 31)

وفيما يخص دور العوامل الخارجية في تفريخ السلوك المنحرف والإجرامي مثل: جماعة الرفاق، أصدقاء المدرسة، الأسرة، الحي الذي يقطن فيه المنحرف أو المجرم، نوعية السكن...إلخ.

نجد أنه بالنسبة للحي والذي يقصد به هؤلاء الباحثون (الإيكولوجيون) المنطقة (Zone)والتي يقطن فيها الفرد ويتفاعل فيها مع سكانها، أي الجيران. وجد هؤلاء الباحثون أن السلوك المنحرف والإجرامي هو نتيجة طبيعة للتفاعل الطويل والعميق بين كل من الفرد وهؤلاء السكان (الجيران) وباقي الظروف الخارجية التي يتميز بها هذا الحي أو المنطقة.

- ومثال عن هذا نشير إلى دراسة العالم "شو" Shaw والتي تناول فيها بالدراسة خمسة إخوة أشقاء، عرفوا بتاريخهم الإجرامي وكيف أن هذا الحي الذي يقطنون فيه لعب دورا مهما في سلوكهم المنحرف والإجرامي، وقد وصف "شو" هذا الحي بالحي الفاسد والذي تكثر فيه الفوضى وانعدام التنظيم الاجتماعي.

- ومن ميزات الحي الفاسد كما بينته البحوث الإيكولوجية نذكر:

1-الازدحام السكاني.

2-تنتشر فيه صور الفقر المدقع.

3-انتشار صور الرذيلة والفساد الأخلاقي.

4-كثرة المدمنين على الكحول والمخدرات وباقي المنشطات الاخرى.

5-انتشار السرقة والجرائم البسيطة والتي تعد جزءا من الحياة اليومية في الحي.

6-الحي يتميز بالفوارق الاجتماعية بين قاطنيه.

7-تقطن فيه الأقليات العرقية والمهاجرين، حيث يمتاز بعدم التجانس.

8-يتميز بالانغلاق، وهو عبارة عن Ghetto

9-تكثر فيه الاعتداءات والجرائم الجنسية.

10-تكثر فيه العصابات.

11 المجال مقسم بين العصابات.

12-تكثر فيه الصراعات العرقية.

**6-أهم الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية:**

1-أثبتت بعض الدراسات خطأ النظريات الإيكولوجية في تفسير جنح الأحداث وذلك لان تفاوت معدلات الجناح من الصعب قياسها ببعد المنطقة أو قربها عن مركز المدينة، إذ أن مثل هذه العلاقة قد تكون محض صدفة

2-انتقد بعض أنصار التفسير النفسي للجريمة والانحراف الاتجاه الإيكولوجي بوجه عام حيث أوضحوا أن السلوك المنحرف يمكن ان ينشأ في منازل ومناطق تتمتع بقدر وافر من الرخاء الاقتصادي وظروف معيشية حسنة، مؤكدين في ذلك على أهمية العوامل النفسية في تفسير السلوك المنحرف. (عدنان الدوري ،1984،ص. 97) .

3-لقد بالغت هذه النظرية في دور العامل البيئي متجاهلة بذلك العديد من العوامل الأخرى كالعامل النفسي على سبيل المثال، وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة والتي تعمل على التوفيق بين العوامل بالرغم من التباين الشديد بينها.

4-لم تفسر لنا هذه النظرية أسباب عدم انحراف أو إقبال بعض الأفراد الذين يعيشون في بيئات مفككة وتعرف الفقر والعنف بكل أنواعه. وعليه لا يمكن القول بأن الذين يقطنون في بيئات مفككة ويسودها الفوضى والعوز بكل أنواعه هم أكثر عرضة للانتقال إلى الفعل الانحرافي والاجرامي، وبالتالي هذه النظرية لها بعد عنصري كونها تركز فقط على عرق دون الآخر ولون بشرة دون الآخر...إلخ.

5- انتقدت دراسة "شو" وزملائه في انها لم تدرس سوى حالات الانحراف التي ظهرت أمام المحاكم، وأنها لم تدرس مدى نشاط البوليس لا كما ولا نوعا، وأن كثيرا من الجهات ترعى حالات الانحراف التي كانت تقدم للمحاكم، وبالتالي لم تكن إحصائيات المحاكم مضبوطة، وأن الأحياء في مدينة شيكاغو كانت تختلف من حيث التكوين العنصري، وهذا له أثره في معاقبة رجال البوليس لأبناء الأجناس المختلفة، وان التقسيم الذي وضع لبيان اتجاهات نمو المدينة قد لا ينطبق على نمو مدينة أخرى، كما انه لم يفرق بين مناطق تفريخ المنحرفين والمناطق التي يتم فيها النشاط المنحرف. (سعد جلال، دون سنة، ص،ص. 226، 227).

6-ففي دراسة لحسن الساعاتي للحصول على رسالة الدكتوراه في سنة 1946يبين أن الأحياء المتخلفة في القاهرة مثل باب الشعرية وبولاق تنخفض فيها نسبة من يتم القبض عليهم، وهذا يعزي إلى أن الأحداث المنحرفين ينزحون إلى الأحياء القريبة المتقدمة اقتصاديا للقيام بنشاطهم حيث يتم القبض عليهم. وقد سمى المناطق الأولى بمناطق التفريخ أو الطرد، وسمى المناطق الأخرى بمناطق الجذب كحي عابدين والموسكى. (سعد جلال، دون سنة، ص،ص. 226، 227).

7-وفي بحث الدكتور للسيد عويس حاول تطبيق مفهوم مناطق الانحراف على مجتمع غير غربي (في مصر) وفي رأيه أن مفهوم "منطقة الانحراف" يبدو أن له فائدته على الرغم من الانتقادات التي توجه إليه، غير أنه يحذر من استخدام المفهوم لتبسيط مشكلة الانحراف والجريمة، ويبين أن المفهوم قد يكون له فائدته في البحوث الجنائية إذا ما أدخلت عليه التنقيحات اللازمة. (سعد جلال، دون سنة، ص،ص. 226، 227).

8-فعلا هناك ما يسمى بالخصوصية الثقافية، وان كل نظرية هي وليدة بيئة اجتماعية ثقافية معينة، لا يمكن تطبيقها آليا على باقي المجتمعات الأخرى. ولهذا يجب مراعاة مبدأ الخصوصية، إلا أننا نرى بأن هذه النظرية يمكن الاستفادة منها خاصة بالنسبة للدول السائرة في طريق النمو، مثل الدول العربية عامة، والتي تعرف حركة حضرية وصناعية لا يستهان بها، وبالتالي هذا يترتب عنه العديد من الظواهر الاجتماعية مع نشأة المدن الجديدة، وكذلك مصير المدن والأحياء القديمة، وهذا ما لاحظناه مثلا في الجزائر في الأحياء الجديدة مثل أحياء "عدل" (A. D. L) وغيرها من الأحياء الجديدة.

9-ونحن بدورنا نشاطر الدكتور سعد جلال عندما يصرح قائلا: ".... أنه وإن كان مفهوم مناطق الانحراف مفهوما يصلح كنقطة بداية لدراسة الجريمة والانحراف إلا أنه يجب ألا ينظر إلى هذه المناطق على أنها السبب في وجود الانحراف. " (سعد جلال، دون سنة، ص،ص. 226، 227).

بل يجب البحث في عوامل أو أسباب أخرى وراء انتشار الانحراف والجريمة بدلا من الوقوف عند عامل "مناطق الانحراف"، على أساس أنه العامل الوحيد في تفريخ الانحراف والجريمة، وهذا خطأ في نظر المقاربات التفسيرية الجديدة للمشكلات الاجتماعية.

10-ومن بين الانتقادات التي نضيفها هناهو ان هذه النظرية ذات توجه عنصري، كونها الصقت الانحراف والجريمة بالفئات الاجتماعية الدنيا المسحوقة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. حيث انها تذهب الى القول بانكل من الانحراف

و الجريمة هما من ميزات الم(سعد جلال، دون سنة، ص،ص. 226، 227).ناطق السكنية المتدهورة و الفقيرة و التي تنعدم فيها شروط الحياة الكريمة و هذا حكقاسي و نوع من أنواع الوصم الذي فندته العديد من النظريات النفسية و الاجتماعية و نذكر بالخصوص كل من النظرية الاشتراكية، و نظرية الخالطة الفارقة او التفاضلية، حيث على سبيل المثال قد بين العالم "ادوين سوزرلاند" ان الأغنياء يرتكبون الجرائم بمعدلات لا يستهان بها و انهم بفضل مكانتهم و أموالهم يستطيعون شراء القضاء و ضمان الدفاع لهم و لأبنائهم و هذا ما لا يستطيعفعله الفقراء و أبناء الطبقات الدنيا.

11-كما أن هذه النظرية أهملت طبيعة الفرد وتركيبته النفسية والعضوية ودرجة القابلية للتأثر بالمحيط (البيئة)، حيث الأفراد ليسوا متشابهين أو الواحد نسخة مطابقة للآخر، بل يختلفون من حيث الجانب النفسي والعضوي وهذا ما يجعلهم يتأثرون بدرجات متباينة وغير متشابهة مع المؤثرات الخارجية.

12-لقد عيب على النظرية الإيكولوجية، أنها لم تعط تفسيرا شاملا لكل صور السلوك الاجرامي، وإنما أنصب اهتمامها في دائرة جرائم الأموال، وعلى الأخص التي تقع في نطاق عصابات الأحداث الإجرامية. ( www. elbassair. comموقع تم تصفحه بتاريخ: 2020/06/07)

هذا ما سبق الإشارة إليه، وهو أن هذه النظرية شأنها شأن العديد من النظريات الاخرى، اهتمت بنوع معين من السلوك المنحرف والإجرامي وأهملت باقي السلوك الانحرافية والإجرامية الأخرى. كما انها تبقى نظرية أحادية طرح، أي أنها اهملت العديد من العوامل الاجتماعية والنفسية في تفسيرها للانحراف والجريمة وركزت فقط على العامل البيئي

**خاتمة:**

لقد عرضنا أهم ما جاء في الكتابات الخاصة بالنظرية البيئية أو المسماة بالإيكولوجيا البشرية وكيفية تناولها لظاهرة الجريمة والانحراف وتبين لنا أن هذه النظرية هي من المداخل الكبرى (Macro) وتحتوي أو تشمل على العديد من النظريات الصغرى. أي ان هناك العديد من النظريات ذات البعد التفسيري الايكولوجي في ثنايا ما يسمى بالمدخل الايكولوجي او الايكولوجية البشرية، بالإضافة الى وجود اختلافات عميقة بين هذه المحاولات النظرية البيئية.

وكذلك تميزت هذه النظرية بخصوبة وتنوع الدراسات الميدانية والحقلية التي أجريت في أمريكا وبالخصوص في مدينة شيكاغو، المدينة المسماة بالمخبر(Ville Laboratoire)

ارتبطت باسم هذه المدينة –شيكاغو–وخاصة بنشأة وتطور قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو. إذ لا يمكن الفصل بين نهضة هذا القسم وهذه النظرية، كون رواد هذه المدرسة والقسم هم مؤسسوا المدخل النظري البيئي.

لقد حاولت هذه النظرية تفسير ظاهرة الانحراف والجريمة انطلاقا من العامل البيئي (Environnement) بالإضافة إلى اهتمامها بكل من مشكلة الهجرة والصراعات الثقافية والأثنية.

هذا وقد ساهمت هذه النظرية في تقديم العديد من الخدمات العملية للجهات المسؤولة، حتى تتدخل من أجل الحد من انتشار المظاهر الانحرافية والإجرامية التي كانت تنخر جسم المجتمع الأمريكي في مرحلة حاسمة من مراحل تاريخه الحديث.

**قائمة المراجع**

1. أحمد مصطفى عبد الله أبو عبيلة وآخرون، مدخل علم الجريمة، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2015.
2. جلال الدين عبد الخالق، السيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر 2001،
3. جلال ثروت، الظاهرة الاجرامية، "دراسة في علم الإجرام وعلم العقاب"، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1983،
4. حسين الساعاتي: النظريات الاجتماعية لتفسير السلوك الاجرامي، ورقة مقدمة لأبحاث الندوة العلمية السادسة –الخطة المنية الوقائية العربية الأولى –المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، الرياض، العربية السعودية، 1987، ص. ص. .
5. حميد بن ناصر الحجري نقل عن الموقع: https: //www. rop. gov. com تاريخ تصفح المقال : 2019/08/12.
6. –سعد جلال، أسس علم النفس الجنائي، دار المعارف ،القاهرة ،مصر.
7. السيد عبد العاطي، أبو بكر أحمد باقادر، المدينة: تأليف: روبرت بارك وارنست بيرجس وروبرت ماكنزي، وكالة تبر للإعلان والنشر، 1409هـ

8. عبد الله حسين خليفة، "المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض"، الكتاب السنوي، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994،
9. عدنان الدوري، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامي، منشورات ذات السلاسل، الكويت ،1984.،
10. فؤاد بن غضبان، مدخل إلى الجغرافية الاجتماعية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011
11. فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، دار الفرقد، دمشق، سوريا،
12. مصطفى عبد المجيد كارده، مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1985،
13. ناجي محمد هلال: "الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في دراسة الانحراف الاجتماعي"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 17، العدد 33، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2002.

[1] www. elbassair. com موقع تم تصفحه بتاريخ: 2020/06/07

-Sophie Body - Grendrot : les recherches sur les "lieux sensibles aux Etats-Unis" in Revue Européenne de Migrations internationales, vol 18, No3, université de Poitier France, 2002, http//journals. Openedition. org/remi/2647.